(6) قوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ...)



حقيقة الموت وأهوال يوم القيامة

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ [ق: 19–20]

تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: 19]

هذه نهاية كل حي، ومن مات فقد قامت قيامته أي أن الموت هو القيامة الصغرى لكل إنسان، حيث تنتهي حياته الدنيوية وينقطع عمله، لينتقل فوراً إلى حياة البرزخ، ويُكشف له مآله (الجنة أو النار)، والإنسان إذا عُمِّر عُمر نوح في

نهاية الأمر سيكون في عداد الموتى.

وهذه حقيقة قالها الله تعالى في أكثر من آية من القرآن قال:

- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30]
- وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: الآية 34]
- وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 26 - 27].

الحكمة من إخفاء موعد الموت

وذكر الموت ليس الهدف منه أن تدمع الأعين، ويصاب الإنسان بالغم والحزن والكآبة ويظن أنه لن يخرج من المسجد، ولن يعود إلى أولاده.... اطمئن لن يموت أي إنسان إلا مرة واحدة فقط؛ عش قدر ما تعيش في النهاية لن تموت إلا مرة واحدة.

لما ارتقى رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى قال له أبو بكر الصديق بعد أن قبله بين عينيه: " بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عز وجل عليك موتتين أبدا، أما الموتة التي قد كتبت عليك فقد متها" (رواه البخاري)

فهي موتة واحدة لكن السؤال: هل أنا مستعد للقاء الله؟ هل عندي عمل صالح ألقى الله به؟ هل أنا في غفلة من هذا الأمر أم أنا منتبه لهذه اللحظة التي سأفارق

فيها الدنيا؟

الاستعداد للسفر الطويل

عندما يسافر أي شخص إلى مكان يجهز حقيبة السفر يضع فيها كل ما يحتاجه في سفره؛ فماذا عن سفرنا إلى الدار الآخرة؟ قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: الآية 197] وهذا معنى ما ورد في الأثر " أحكم السفينة فإن البحر عميق واستكثر من الزاد فإن السفر طويل" [1]

ما الحكمة من إخفاء ميعاد الموت؟ أخفى الله عنا ميعاد الموت لسببين:

أولاً/ رحمة بعباده:

لو افترضنا أن الإنسان عنده بطارية مثل بطارية الهاتف تمثل عمره في هذه الدنيا، أو عنده علم مسبق بتاريخ وفاته تخيلوا كيف تكون حياته؟! [2]

وعندما يبدأ العد التنازلي: بقي خمس سنوات... ثلاثة .... عام.... شهر... أسبوع... يوم... تخيلوا الحالة النفسية كيف تكون؟

عذاب وقلق وتوتر لا تطيب له حياة ولا يطيب له مقام ولا عيش، ولا فرحة!!

فمن أصعب الأمور على الإنسان أنه يقال له: إنك ستموت غداً أو بعد غد أو الأسبوع المقبل، أو عمرك في الدنيا كذا... فمن رحمة الله أن أخفى علينا ميعاد الموت "فما أضيق العيش لولا فسحة الأمل"



ثانيا/ حتى نبقى على استعداد دائم للقاء الله تعالى:

طالما أن الأمل موجود والعمر ممتد فإن كل يوم هو إضافة لعملك الصالح غنيمة نغتنمها بيننا وبين الله عز وجل نتزود بالزاد وبالعمل الصالح، وبالإقبال على الله، ونرضى بالقليل، ونتوب من الذنوب، والمعاصي، ونستكثر من الزاد؛ فيبقى الإنسان على استعداد دائم بالعمل الصالح.

والمقصود من ذكر الموت ليس الغم والكآبة والقلق والحزن؛ إنما رجاء المؤمن إذا جاء أجله، وحان الوقت أن يتوفاه الله وهو راضٍ عنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أكثروا ذكر هاذم اللذات)[3]

أي أكثروا من تذكُّر الموت؛ لأنه يقطع لذات الدنيا وشهواتها، ويوقظ القلب من الغفلة، ويذكّر الإنسان بأن هذه الحياة مهما طالت فهي مرحلة قصيرة يعقبها الوقوف بين يدي الله تعالى.

لماذا أمر النبي ﷺ بالإكثار من ذكر الموت؟

لأن الغفلة عن الموت من أعظم أسباب التعلق بالدنيا وطول الأمل، فإذا استحضر الإنسان أنه قد يفارق الدنيا في أي وقت تغيّرت أولوياته.

فذكر الموت يدفعه إلى المبادرة بالتوبة، والمحافظة على الصلاة، ورد الحقوق



والمظالم، والإحسان إلى الوالدين، وإصلاح ما بينه وبين الناس، والاستكثار من العمل الصالح.

ولهذا كان ذكر الموت علاجًا لطول الأمل، فإذا دعته نفسه إلى معصية تذكّر أنه قد يلقى الله بعدها، وإذا اشتد حرصه على الدنيا تذكّر أنه سيتركها. وإذا تكبر على الناس تذكّر أنه سيُحمل يومًا على الأكتاف ثم يوضع في قبره.

ذكر الموت لا يعني ترك الدنيا

وهنا ينبغي التنبيه إلى معنى مهم: النبي ﷺ لم يأمرنا باعتزال الحياة، ولا بترك العمل والتجارة والزواج والفرح بما أحل الله.

إنما المقصود أن تكون الدنيا في اليد لا في القلب.

تعمل، وتتزوج، وتبني، وتتعلم، وتكسب المال، وتستمتع بالطيبات، لكنك تعلم أن هذه كلها وسائل وليست الغاية الكبرى.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: 77] فالإسلام يجمع بين عمارة الدنيا والاستعداد للآخرة.

وهذه الحال ليست فجائية ولا كما يتوهم البعض أنت وحظك!! كلا؛ فإن الله سبحانه وتعالى أمضى عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا



بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [إبراهيم: 27]

ويقول النبي ﷺ: "يُبعث كل عبد على ما مات عليه" رواه مسلم

فمن عاش على طاعة الله مستقيما على صراطه نستبشر له بحسن الخاتمة.

ومن كان يعيش في ضلال يأكل حراماً ويغتصب أموال الناس ويسرق فماذا نتوقع من خاتمته؟ فهذا طريق لا يؤدي إلى الجنة ولا يبشر بخير.

فحسن الخاتمة ليس وليد لحظة الوفاة إنما هو نتيجة حياة في طاعة الله عز وجل.

كيف يكون ذكر الموت نافعًا؟

ليس المقصود أن يقول الإنسان بلسانه: "سأموت، سأموت" ثم لا يتغير شيء في حياته؛ إنما الذكر النافع هو الذي يولّد عملًا.

إذا تذكرت الموت فانظر: هل عليك دين لم تقضه؟ هل ظلمت إنسانًا؟ هل قطعت رحمًا؟ هل عندك صلاة تضيّعها؟ هل هناك ذنب تؤجل التوبة منه؟ هل لك مال ينبغي أن تكتب فيه وصية؟ هذا هو المقصود الحقيقي من الحديث.

ولهذا جاء الحديث الآخر الذي يكمّل هذا المعنى: (يتبع الميت ثلاثة: فيرجع اثنان ويبقى واحد؛ يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله).

فكل شيء نحبه من الدنيا سينفصل عنا، ويبقى معنا شيء واحد: العمل.

ولهذا فذكر الموت لا يفسد الحياة، بل قد يصلحها؛ لأنه يجعل الإنسان أكثر توبة، وأقل ظلمًا، وألين قلبًا، وأسرع إلى الخير.

يقول تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: 19]

السكرة المقصود بها في اللغة: شدة الموت لأن الإنسان يغيب عن الوعي ويفيق، وهي مشتق من السَّكر بفتح فسكون وهو الغلق لأنه يغلق العقل ومنه جاء وصف السكران.

فسكرات الموت هي الشدائد والكربات والآلام التي تعتري الإنسان عند حضور أجله وخروج روحه من جسده، وسميت "سكرات" لأن شدتها قد تغشى العقل والحواس، فيكون الإنسان بين وعي وضعف وغمرات شديدة، كحال من غُلب على إدراكه، وليس المقصود بالضرورة أنه يفقد وعيه تمامًا.

والروح تنزع من الإنسان نزعا ، كما في قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: 1-2] قال العلماء: إن معنى النازعات الملائكة تنزع روح الكافر فتغرق وتشتد في النزع، لأنها تهرب فتشتد الملائكة عليها في النزع ، أما عباد الله المؤمنين ـ نسأل الله حسن الخاتمة ـ فالملائكة تنشط أرواحهم نشطا، يعني تفكها فكاً بمعنى أن البعير إذا ربط ثم تم حل الرباط ينشط فيقال: أنشطته يعني فككت وثاقه أو حللت رباطه فانطلق؛ فمعنى(والناشطات

نشطاً) أي أنها تنشط الروح من الجسد نزعاً خفيفاً ثم بعد ذلك ترقى بها الملائكة إلى السماء.

وعلى الرغم من هذا فإن نبينا ﷺ لما حضرته الوفاة كان بين يديه ركوة إناء فيه ماء فكان يمسح على جبينه ويقول: "لا إله إلا الله إن للموت لسكرات " رواه البخاري، وفي رواية أنه كان يدعو قائلا: " اللهم هون على سكرات الموت"

ولما حضرت الوفاة أبا بكر الصديق قالت ابنته عائشة الصديقة أم المؤمنين متمثلة ببيتا من الشعر:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

يعني لا ينفع المال ولا الغنى، والحشرجة هي صوت خروج الروح عندما يخور ويخرج منه صوت عند خروج الروح قبل الموت فتقول إن الغنى والمال لا ينفعان أحداً بشيء إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر، فلما أفاق بين سكرة الموت والحياة قال لها: لا يا ابنتي لا تقولي هذا وإنما قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [سورة ق: الآية 19]

لحظات خروج الروح

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يُلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير[4]، وفي يده عود ينكت في الأرض[5].

فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا.

ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط[6] من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر.

ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان.

قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء[7]، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض.

قال: فيصعدون بها، فلا يمرون – يعني بها – على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة.

فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟

فيقول: ربي الله.

فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ.

فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت.

فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة.

قال: فيأتيه من رَوحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره.

قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد.

فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير.

فيقول: أنا عملك الصالح.

فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي".

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح[8]، فيجلسون منه مد البصر.

ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة،

اخرجي إلى سخط من الله وغضب.

قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود [9]من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض.

فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له".

ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40]

فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى.

فتطرح روحه طرحًا، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31].

فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري.

فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري.

فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار.

قال: فيأتيه من حرها وسمومها[10]، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه.

ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد.

فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر.

فيقول: أنا عملك الخبيث.

فيقول: رب لا تقم الساعة) رواه أحمد وصححه الألباني.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 19]

تحيد أي تميل عن الشيء أو تفر منه، أي هذا ما كنت منه تفر وتهرب، تحيد من المرض إلى الطبيب ومن الخطر إلى السلامة، تفر من أسباب الهلاك إلى النجاة، ذلك ما كنت منه تحيد؛ الآن لا ينفع طبيب، ولا ينفع مفر، ولا مهرب، لأن أمر الله تعالى قد نفذ.

وقد نزل جبريل الأمين على النبي الحبيب ﷺ بخمس كلمات قال: (يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به وأحبب من شئت فإنك



مفارقه واعلم أن شرف المؤمن صلاته بالليل وعزه استغناؤه عن الناس) أخرجه الحاكم في المستدرك وحسنه الألباني.

هارون الرشيد عند وفاته:

لما نام هارون الرشيد على فراش الموت، نظر إلى جنده وسلطانه ثم قال: (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) [الحاقة:28-29] ثم قال: أريد أن أرى قبري الذي سأدفن فيه، فحملوه إلى قبره، فلما نظر إلى القبر بكى، ثم نظر إلى السماء وقال: يا من لا يزول ملكه! ارحم من قد زال ملكه.

يقول تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: 20]

ما هو الصور؟

الصور في لغة العرب: القَرْن، وقد سئل الرسول ﷺ عن الصور، ففسره بما تعرفه العرب من كلامها، كما في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: "ما الصور؟ قال: الصور قرن ينفخ فيه "قال الترمذي حديث حسن صحيح.

ولا يعلم مقدار عظم هذه البوق إلا الملك جل جلاله.

النَافخ في الصُّور

صاحب الصور إسرافيل عليه السلام، وقد نقل الإجماع على أن نافخ الصور

هو إسرافيل عليه السلام، قال الحافظ في الفتح: (اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام، ونقل فيه الحليمي الإجماع، ووقع التصريح به في حديث وهب بن منبه، وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي، وفي حديث أبي هريرة عند ابن مردويه، وكذلك في حديث الصور الطويل)[11]

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن صاحب الصور مستعد دائماً للنفخ فيه كما في الحديث:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ، فينفخ. قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا "رواه الترمذي.

اليَوم الذي تقع فيه النفخة

تقوم الساعة في يوم الجمعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلِق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة "صحيح مسلم

وفي حديث آخر أخبر الرسول ﷺ أن الساعة تقوم في يوم الجمعة، وفيها يُبعث العباد أيضاً، فعن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصَّعْقَة،

فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ "رواه أبو داود.

قبض أرواح المؤمنين قبل قيام الساعة

والساعة لا تقوم حتى يتحقق خلو الأرض من جميع المؤمنين، دلت على ذلك عدة أحاديث منها:

1 – عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس) رواه مسلم.

2 – عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :(إن الله يبعث ريحا من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته.) رواه مسلم

قبضته: أي قبضت روحه وذلك عند قيام الساعة.

3 ـ عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله) رواه مسلم.

4 – عن النواس بن سمعان رضي الله عنه الذي ذكر فيه النبي ﷺ الدجال ويأجوج ومأجوج: (فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن، وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة) رواه مسلم.

"الهرْج: الفتن في آخر الزمان. والهرج أيضاً: الاختلاط، ومنه قيل: فلن يزال

الهرج إلى يوم القيامة. والهرج أيضاً: كثرة النكاح.

فمعنى يتهارجون تهارج الحمر يحتمل للمعنيين معا "بمعنى يتقاتلون" وقيل: معناه: يتخالطون رجالا ونساء ويتناكحون مزاناة.

5 ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: (لا يذهب الليل والنهار حتى تُعْبَدَ اللاتُ والْعُزَّى، فَقُلتُ: يا رسول الله إن كنتُ لأظن حين أنزل الله ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 9] أن ذلك تاماً (أي أن ملَّةَ الإسلامِ ظاهرةٌ على الأَديانِ كلِّها)، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم) رواه مسلم.

هذه الأحاديث وما في معناها من أحاديث، تدل على أن الساعة لا تقوم إلا على الشرار من الناس فقط، قال القرطبي: "هذا غاية في البيان في كيفية انقراض هذا الخَلق وهذه الأزمان، فلا تقوم الساعة وفي الأرض من يعرف الله، ولا من يقول: الله الله".

كم مرة ينفخ إسرافيل في الصور؟

هناك قولان للعلماء:

القول الأول: أن إسرافيل ينفخ في الصور مرتين:

• الأولى يحصل بها الصعق.
• والثانية يحصل بها البعث.

وقد رجح هذا جمع من أهل العلم، منهم القرطبي، وابن حجر العسقلاني، وقد استدلوا بـ

1- بقوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ) [الزمر: 68]

2- أيضا سمى القرآن النفخة الأولى بالراجفة، والنفخة الثانية بالرادفة، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: 6-7]

3- وقد سمى الأولى بالصيحة، وصرح بالنفخ بالصور في الثانية، قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: 49-51]

4ـ وقد جاءت الأحاديث النبوية مصرحة بالنفختين: ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما بين النفختين أربعون ". قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت "

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ



يقول: "ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً، ورفع ليتاً، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله – أو قال: ينزل الله مطراً، كأنه الطَّلُّ، أو الظِّلُّ، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون "رواه مسلم

الليت: صفحة العنق، وإصغاؤه: إمالته.

القول الثاني: وذهب جمع من أهل العلم إلى أنها ثلاث نفخات، وهي نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث.

وممن ذهب هذا المذهب ابن العربي، وابن تيمية، وابن كثير، وقد استدلوا بـ:

1- أن الله ذكر نفخة الفزع في قوله: (وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ) [النمل: 87]. فالنفخة الأولى عند القائلين بالثلاث هي نفخة الفزع.

والنفخة الثانية هي نفخة الصعق والموت، ودليلها قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: 68].

ثم ذكر الله بعد ذلك نفخة أخرى فقال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68]، وهي نفخة البعث والنشور.

ويؤكد معنى نفخة البعث قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ

إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: 51]

فيكون ترتيب الآيات عند القائلين بالثلاث هكذا:

- نفخة الفزع: ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾
- ثم نفخة الصعق: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾
- ثم نفخة البعث: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾.

2- احتجوا ببعض الأحاديث التي نصت على أن النفخات ثلاث، كحديث الصور، وهو حديث طويل، أخرجه الطبري، وفيه: "ثم ينفخ في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين "لكن للأمانة فهذا حديث ضعيف مضطرب كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى.

لكن أرجح هذا القول الأخير لأنها مذكورة في القرآن بهذا الترتيب:

أولا/ نفخة الفزع:

نفخة الفزع هي النفخة التي يقع عندها الهول العظيم والرعب الشديد في جميع الخلق عند قيام الساعة.

قال اللـه تعالى: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) [النمل: 87].

والفزع هنا هو الرعب الشديد الذي يدخل القلوب عند سماع النفخة؛ أي: هالهم ذلك اليوم هولًا عظيمًا.

ففزع من في السماوات ومن في الأرض ...!! أى تنفك كل صلات الكون وروابطه ، تتزلزل الأرض وترتج بأهلها رجَّات عنيفة مزلزلة ، وتصوروا معي هذه المشاهد التى تخلع القلب ، فالشمس قد كورت ، والكواكب تناثرت هنا وهناك وتمزقت بأمر الله، والبحار والأنهار لم تعد تحوي بطونها ماء ، فماءها تحول نار أجاج ، والجبال نسفها الله نسفا ؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 105–108]

ويقول النبى: (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ: إذا الشمس كورت، وليقرأ إذا السماء انفطرت، وليقرأ إذا السماء انشقت) رواه الترمذي

ثانيا/ نفخة الصعق والموت:

نفخة الصعق والموت هي النفخة التي إذا وقعت مات بها من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وهي من أعظم أهوال الساعة، وقد دل عليها صريح القرآن في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر:

.(68

وأما معنى الصعق في هذا الموضع فهو الموت بسبب الهول والصوت العظيم، فهذه نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله".

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغ ى ليتاً، ورفع ليتاً، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله – أو قال: ينزل الله مطراً، كأنه الطَّلُّ، أو الظِّلُّ، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون "رواه مسلم

فسبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الذي كتب الموت على جميع الخلائق وهو الحي الباقي الذي لا يموت.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67]

عن ابن مسعود قال: "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر. ثم

قرأ: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [الزمر:67]".

وفي رواية لمسلم: والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله.

وفي رواية للبخاري: يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا: يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟" متفق عليه

ويقول جل جلاله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 15-17]

مات كل مخلوق ولم يبق إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، كان آخراً كما كان أولا ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ

وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] هو الأول فلا شيء قبله وهو الآخر فلا شيء بعده وهو الظاهر فلا شيء فوقه وهو الباطن فلا شيء دونه وهو السميع العليم.

ثالثا/ نفخة البعث والنشور

نفخة البعث والنشور هي النفخة التي يُحيي الله بها الخلق بعد موتهم، فيخرجون من القبور إلى موقف الحساب، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: 51-54]

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 41-45]

قال رسول الله ﷺ: "كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب "رواه أبو داوود

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "ما بين النفختين

أربعون، ثم ينزل من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، وليس في الإنسان شيء إلا بَلي، إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة "رواه البخاري ومسلم

وقد دلت النصوص الصحيحة على أن أجساد الأنبياء لا يصيبها البلى والفناء الذي يصيب أجساد العباد، ففي الحديث "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء "رواه أبو داود

كم بين النفختين: الصعق والموت ونفخة البعث والنشور؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما بين النفختين أربعون ". فقالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت "

ما معنى أبيت؟ قال أبيت أن أسأل عن ذلك رسول الله فَعِلْم هذه الأربعين عند رب العالمين، وبعد الأربعين يأمر الله جل وعلا إسرافيل أن ينفخ في الصور النفخة الثانية.

من الذين عناهم الحق بالاستثناء في قوله: (إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ)؟

أخبرنا الباري جلَّ وعلا أن بعض من في السماوات ومن في الأرض لا يُصعقون عندما يُصعق من في السماوات ومن في الأرض (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ) [الزمر: 68].

وقد اختلف العلماء في تعيين الذين عناهم الحق بالاستثناء في قوله: (إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ) والقول الأقوى ما ذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أن المراد بهم الذين في الجنة من الحور العين والولدان.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الأولى بالمسلم التوقف في تعيين الذين استثناهم الله، لأنه لم يصح في ذلك نص يدل على المراد؛ قال ابن تيمية: "وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين، فإن الجنة ليس فيها موت، ومتناول لغيرهم، ولا يمكن الجزم بكل ما استثناه الله، فإن الله أطلق في كتابه.. والنبي ﷺ قد توقف في موسى، وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبي ﷺ لم يُخْبَر بكل من استثنى الله، لم يمكننا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء، وأمثال ذلك مما لم يخبر الله به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر، والله أعلم.[12]

أول من تنشق عنه الأرض

أول من يبعث وتنشق عنه الأرض هو نبينا محمد ﷺ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع.. وأول مشفع "(صحيح مسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "استب رجل من المسلمين، ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمد على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده، فلطم اليهودي، فذهب

اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: لا تُخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق، أو كان ممن استثنى الله عز وجل ". رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية لهما: "... فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يبعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري: أحوسب بصعقة الطور، أم بعث قبلي؟ "

حشر الخلائق جَميعاً إلى الموقف العظيم

وأما صورة الخلق عند البعث، فإن القرآن عبر عنها بتعابير بليغة متوافقة: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ تدل على المفاجأة وسرعة الانتقال من الموت إلى الحياة، و ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ تدل على الإسراع في الخروج، و ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ تدل على انقيادهم الكامل لأمر الله، و ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ تدل على كثرتهم وسرعة توجههم إلى المحشر.

فهذه الألفاظ إذا جُمعت أعطت صورة متكاملة للنشور: إحياء مفاجئ، ثم قيام، ثم خروج سريع، ثم سوق إلى الحساب.

وقد سمى الله يوم الدين بيوم الجمع، لأن الله يجمع العباد فيه جميعاً: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود: 103] وقدرة الله تحيط بالعباد، فالله



لا يعجزه شيء، وحيثما هلك العباد فإن الله قادر على الإتيان بهم، حتى وإن غاروا في أعماق الأرض، وإن أكلتهم الطيور الجارحة أو الحيوانات المفترسة، أو أسماك البحار، أو غيبوا في قبورهم في الأرض، كل ذلك عند الله سواء.

وكما أن قدرة الله محيطة بعباده تأتي بهم حيثما كانوا، فكذلك علمه محيط بهم، فلا ينسى الله منهم أحدا، ولا يشذُّ منهم أحد، لقد أحصاهم خالقهم تبارك وتعالى، وعَدَّهم عداً ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: 93-95]

صِفَةُ حشر العبَاد

يحشر العباد حفاة عراة غرلاً، أي: غير مختونين، ففي الصحيحين عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: "إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً "ثم قرأ (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: 104].

وعندما سمعت عائشة الرسول ﷺ يقول: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً "قالت: يا رسول الله، الرجال والنساء جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: "يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض "متفق عليه.

كِسوَة العبَاد في يَوم المعَاد

بعد حشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، يكسى العباد، فالصالحون يكسون الثياب الكريمة، والطالحون يسربلون بسرابيل القطران، ودروع الجرب، ونحوها

من الملابس المنكرة الفظيعة.

وأول من يكسى من عباد الله نبي الله إبراهيم خليل الرحمن، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل " والحكمة من تقديم إبراهيم عليه السلام في الكسوة: أنه لما أُلقي في النار جُرّد من ثيابه لله تعالى، فجازاه الله بأن جعله أول من يُكسى أمام الخلائق يوم القيامة.
وأخرج البيهقي من طريق ابن عباس نحو حديث الباب وزاد: "وأول من يكسى من الجنة إبراهيم، يكسى حلة من الجنة، ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش، ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر "

ومعنى لا يقوم لها البشر: أي لنفاستها وعظم شأنها وحسنها وبهائها، لا يستقل بمثلها ولا يطيق حسنها وقيمتها أحد من البشر؛ إظهارا لفضل نبينا محمد ﷺ وكرامته العظمى على سائر الخلق.

الآثار الإيمانية والتربوية للآيات

1. اليقين بأن الموت حقيقة لا يستثنى منها أحد، ولا يستطيع أحد أن يدفعها عن نفسه مهما بلغ ماله أو علمه أو سلطانه.
2. من رحمة الله أنه أخفى عن الإنسان موعد موته؛ لأن معرفته الدقيقة قد تحول حياته إلى قلق متواصل، وتمنعه من الانتفاع بوقته والقيام بمسؤولياته.

3. وإخفاء موعد الموت يمنع الإنسان أيضا من تأجيل التوبة؛ فالإنسان لا يعلم متى ينتهي أجله، ولذلك ينبغي أن يكون مستعدًّا في كل وقت.
4. أرشدنا النبي ﷺ إلى الإكثار من ذكر هادم اللذات؛ لأن طول الأمل يجعل الإنسان يتعامل مع الدنيا كأنه مخلد فيها، فيؤجل التوبة، ويؤخر رد الحقوق، ويؤثر اللذة العاجلة على النجاة في الآخرة.
5. لم يأمر الإسلام اتباعه باعتزال الحياة أو ترك العمل والزواج والتجارة والتعلم، وإنما أمره أن يجعل الدنيا وسيلة للآخرة، وألا تتحول في قلبه إلى الغاية الكبرى.
6. ذكر الموت يدفع المؤمن إلى استثمار كل دقيقة في عمره؛ لأنه يدرك قيمة وقته، فلا يضيعه في الخصومات والتفاهات، بل يسعى إلى ترك أثر نافع وعمل صالح يبقى أجره بعد موته.
7. يسأل العبد في قبره عن ربه ودينه ونبيه. وليست الإجابة النافعة مجرد معلومات حُفظت باللسان، وإنما هي ثمرة إيمان عاشه الإنسان في الدنيا.
8. عندما تأتي سكرة الموت لا يستطيع الغني أن يشتري دقيقة إضافية، ولا يستطيع الملك أن يأمر ملك الموت بالانصراف، ولا يستطيع الطبيب أن يتجاوز الأجل الذي كتبه الله.
9. الله لا يحتاج إلى زمن طويل لجمع الأجساد أو البحث عن أصحابها، ولا يضيع منه من غرق في البحر أو احترق أو أكلته الدواب؛ لقد أحصى الخلق جميعًا، وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا.



10. يعالج المؤمن خوفه من الموت بثلاثة أمور: العمل الصالح والتوبة، وحسن الظن بالله، وترك الانشغال بتوقيت الموت وكيفيته.
11. ثم يأتي الإيمان بالنفخ في الصور والبعث ليؤكد أن الموت ليس فناءً، وإنما انتقال يعقبه قيام وحشر وحساب، ثم جنة أو نار؛ فالسعيد من تزود لذلك اليوم قبل أن تأتيه سكرة الموت.

المعنى الإجمالي للآيات:

1. الموت حقيقة حتمية لكل إنسان، ولا خلود لأحد في الدنيا، وهو بداية انتقال الإنسان إلى حياة البرزخ وانقطاع عمله الدنيوي.
2. المقصود من تذكر الموت ليس الحزن والكآبة، وإنما الاستعداد للقاء الله، ومحاسبة النفس: ماذا أعددت للآخرة؟
3. الآخرة سفر طويل يحتاج إلى زاد، وأعظم زاد يتزود به العبد هو التقوى والعمل الصالح.
4. من حكمة إخفاء موعد الموت رحمة الله بالإنسان؛ لأن معرفة موعد الوفاة قد تحول حياته إلى خوف وقلق دائمين، وأن يبقى العبد مستعدًا دائمًا، فيغتنم كل يوم في التوبة والطاعة والإقبال على الله.
5. عند حضور الموت لا ينفع مال ولا سلطان ولا طبيب في دفع الأجل إذا جاء أمر الله، ولذلك ينبغي ألا يغتر الإنسان بقوته أو دنياه.
6. الصور هو القرن الذي يُنفخ فيه عند قيام الساعة، والمشهور عند أهل العلم



أن النافخ فيه هو إسرافيل عليه السلام، وهو مستعد لتلقي أمر الله.

7. الساعة لا تقوم على المؤمنين؛ بل يقبض الله أرواح المؤمنين بريح طيبة، ويبقى شرار الناس، وعليهم تقوم الساعة.
8. قيام الساعة يصاحبه انقلاب هائل في نظام الكون: تزلزل الأرض، وتنسف الجبال، وتتغير الشمس والكواكب والبحار، فيفزع الخلق فزعًا عظيمًا.
9. نفخة الصعق يموت بها من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ويبقى الحي الذي لا يموت سبحانه.
10. بعد موت الجميع تأتي نفخة البعث والنشور، فيحيي الله الخلائق ويخرجون من قبورهم إلى الحساب.
11. البعث يكون سريعًا ومفاجئًا؛ يقوم الناس من قبورهم ويسرعون جميعًا إلى موقف الحساب، ولا يعجز الله عن جمع أحد مهما كان موضع موته أو فناء جسده.

---

[1] هذا الأثر مشهور في كتب الوعظ والرقائق كـ "تنبيه الغافلين" و "الكبائر" للذهبي، وذكره الديلمي في "الفردوس" بلا إسناد، ويعتبره المحققون أثرًا ضعيفًا جدًا، والأفضل عدم نسبته للرسول كحديث ويجوز الاستشهاد به على انه أثر معناه صحيح.

[2] وأذكر قصة حدثت وأنا في سن الرابعة عشر؛ كان معنا في المسجد رجل طيب أحيل للتقاعد (سن المعاش) وكان محافظا على الجماعة وعلى الصف الأول ، وصار أغلب ساعاته في المسجد وجعل همته في طاعة الله، هذا الرجل رأى في الرؤيا أنه يقرأ سورة النصر "إذا جاء نصر الله والفتح" فجلس مع مجموعة من أصدقائه في المسجد يسألهم عن تأويل رؤياه ، قالوا : فلان عنده كتاب تفسير الأحلام

لابن سيرين، وجاءؤا بالكتاب، وإذ بتأويل الرؤيا أن من رأى أنه يقرأ سورة النصر فقد اقترب أجله، لأن هذه السورة نزلت في أواخر حياة رسول الله ﷺ ، وابن عباس فسرها بأن الله نعى نبيه لنفسه، وبعدها أصيب الرجل بحالة عجيبة جداً زهد في كل شيء فلم يعد يأكل ولا يشرب ولا يتحرك من مكانه، يذهب فقط للحمام ساعة الصلاة يتوضأ ويصلي على السرير، وثقل جسمه فلم يعد يقوى على الحركة، وذهبوا به إلى المستشفى، وقال الأطباء ليس به بأس لكنه كان لا يتكلم ولا يأكل يعيش على المحاليل الطبية فقط، في آخر يوم قبل أن يتوفى دعا ابنه الأكبر وحكى له هذا القصة قال له: من ساعة أن عرفت تأويل هذه الرؤيا وعلمت أنه قد اقترب أجلي أصابني هذا الفزع الكبير صرت مفزوعاً. وموهوماً وركبني الهم والخوف وما أظن أني أعيش إلا أياماً معدودة، ثم قُبض في هذا اليوم رحمه الله وقص ابنه علينا هذا المشهد مع أبيه.

[3] ورد الحديث باللفظين «هادِم» بالدال و«هاذِم» بالذال قد وردا في روايات الحديث. فـ «هادِم اللذات» من الهدم، أي الذي يهدم اللذات ويقطعها، و«هاذِم اللذات» من الهَذْم، وهو القطع، أي قاطع اللذات. أما ما يرد بحرف الزاي «هازِم» فغير صحيح.

[4] كناية عن شدة السكون والإنصات؛ أي كانوا ساكنين لا يتحركون كأن طيرًا وقف على رؤوسهم ويخشون أن يطير.

[5] وكان النبي ﷺ ينكت بعود في الأرض، وهو مشهد يدل على التفكر والاعتبار أمام حقيقة الموت.

[6] الحنوط: الطيب الذي يوضع للميت، وهذا الكفن والطيب ليسا الكفن الذي يراه الناس في الدنيا، وإنما أمر من عالم الغيب يتعلق بروحه.

[7] فيّ أي فم القربة السقاء: القربة التي يوضع فيها الماء، فإذا كان في فم القربة قطرة ماء فإنها تنزل بسهولة؛ أي أن روح المؤمن تنقاد لخالقها وييسر الله خروجها، وهذا لا يعني أن المؤمن لا يشعر بسكرات الموت؛ فقد قال النبي ﷺ نفسه:"إن للموت سكرات" وإنما المقصود أن روح المؤمن لا تُنتزع ذلك الانتزاع العنيف الذي وصف به روح الكافر.

[8] المسوح: ثياب خشنة، وفي هذا بيان الإهانة المقابلة لإكرام المؤمن بكفن الجنة وحنوطها.

[9] السَّفُّود: سيخ من الحديد له شعب أو خشونة، فتصور سيخًا خشنًا مغروسًا في صوف مبلل ثم يُسحب منه؛ يتعلق به الصوف ويتقطع، وفي أحد روايات الحديث: (تتقطع معها العروق والعصب) وهذا تصوير لشدة نزع الروح.

[10] السَّموم: الريح الشديدة الحرارة؛ فتأتيه حرارة النار ولفحها من الباب المفتوح إليها.

[11] يُنظر: (فتح الباري) (11/ 368).

[12] مجموع فتاوى شيخ الإسلام (4/261)